جزء فيه

جواب عماد الدين أبي محمد عبد الرحمن بن عبد العلي بن علي الأنصاري المعروف بـالسُّكَّري عن كلام أبي الفرج ابن الجوزي في قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

تحقيق

عبد الله بن علي السليمان آل غيهب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا جزء لطيف للعلامة المحدث الفقيه عماد الدين ابن السكّري الشافعي رحمه الله تعالى فيه جوابُ شبهةٍ تتعلق بالشيخين - رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين - وهي قولهم: لا يُقطع لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بالجنة!

وقد وُفّق العلامة ابن السكّري- فيما أحسب - في هذا الجواب، وأبان عن علم غزير، وفقه كبير، فرحمة الله تعالى عليه وعلى سائر علماء المسلمين.

وقد اعتمدت في إخراجه على نسخة وحيدة جاءت ضمن مجموع خطّي محفوظ في جامعة برنستون برقم (٤٠٩٨)، عدد أوراقه: (١٧٢)، ويشغل الجزء منه الأوراق (١٥٠-١٥٢/ و)، والنسخة بحالة جيدة، وخطها واضح، وقد اعتنى الناسخ فيها - غالبًا - بإعجام الحروف، وذكر في آخرها أنه قد نقلها من خط المجيب.

ترجمة ابن السكّري (المجيب)

هو الشيخ العالم الفقيه، قاضي قضاة مصر، عماد الدين، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي بن علي، المصري، الشافعي، **المعروف بابن السكّري**.

له حواش على "الوسيط" مفيدة، ومصنف في مسألة الدور.

ولد سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة.

وسمع إبراهيم بن سماقا، وعلي بن خلف بن معزوز.

وصحب الصالحين، وتفقه على الشهاب محمد الطوسي، وبرع في العلم، وولي قضاء القاهرة وخطابتها، وحدث، وأفتى، ودرس، وكان قد صرف عن القضاء لأنه طلب منه قرض شيء من مال الأيتام فامتنع رحمه الله.

توفي في ثامن عشر شوال سنة أربع وعشرين وست مئة، وله إحدى وسبعون سنة[1].

ترجمة ابن الأنماطي (السائل)

هو الشيخ الحافظ، المجود البارع، تقي الدين، أبو الطاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن أبي بكر بن هبة الله الأنصاري، المصري، الشافعي، **ابن الأنماطي**.

ولد في ذي القعدة، سنة سبعين وخمس مئة.

[1] انظر: تاريخ الإسلام (١٣/ ٧٧٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٧٠، ١٧١).

«سمع القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي، وأبا القاسم هبة الله البوصيري ... وجماعة كبيرة، ورحل إلىٰ دمشق سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة فأكثر بها عن أبي طاهر الخشوعي، وأبي محمد ابن عساكر، وطبقتهما، ورحل بعد الستمئة إلىٰ العراق، فسمع من حنبل، وابن سكينة، وابن طبرزد، وأبي الفتح المندائي، وخلق سواهم، وكتب الكثير بخطه المليح السريع، وحصل كتبا كثيرة. قال ابن النجار: اشتغل من صباه، وتفقه، وقرأ الأدب، وسمع الكثير ... وكانت له همة وافرة، وحرص، وجد، واجتهاد، مع معرفة كاملة وحفظ وثقة وفصاحة وسرعة قلم، واقتدار علىٰ النظم والنثر ...

قال عمر ابن الحاجب: كان إماما، ثقة، حافظا، مبرزا، فصيحا، واسع الرواية، حصل ما لم يحصله غيره من الأجزاء والكتب ...

قلت: وله مجاميع مفيدة، وآثار كثيرة، وكان أشعريا؛ له كلام في الحط علىٰ إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة.

روىٰ عنه الشهاب القوصي، والزكي البرزالي، والزكي المنذري، والكمال الضرير، والصدر البكري المحدث، وابنه أبو بكر محمد بن إسماعيل، وآخرون.

ومات في الكهولة، ولم يرو إلا القليل.

قال الضياء: بات في عافية، فأصبح لا يقدر علىٰ الكلام أياما، ثم **مات** -يعني: مات بالسكتة- في رجب، [سنة تسع عشرة وست مئة]»[1].

---

[1] تاريخ الإسلام (١٣/ ٥٧٢).

صورة الأصل الخطي[1]:

...

[1] على الرابط:
http://pudl.princeton.edu/viewer.php?obj=z890rw86v#page/157/mode/1up

النص المحقق

جزء فيه

جواب قاضي القضاة عماد الدين أبي محمد عبد الرحمن بن عبد العلي بن علي الأنصاري المعروف بالسُّكَّري

عن كلام أبي الفرج ابن الجوزي

في قصة أبي بكر وعمر

رضي الله عنهما

سأله عنه إسماعيل بن عبد الله ابن الأنماطي

والمجيب المذكور هو قاضي القضاة الشافعي بالديار المصرية وخطيب القاهرة

وشيخ المدرسة المعروفة بمنازل العز

وتوفي في ١٨ من شوال سنة ٦٢٤هـ

وكان مولده سنة ٥٥٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، رافع علَم العِلْم وناشره، وقامع أمم الظُّلم وقاهره، ومُعلي آثار الدِّين وناصره، ومظهر منار الحقِّ لناظره، ومُطهِّر الشَّرع الشَّريف ممن انتمىٰ إليه بفساد عقده وخبث ضمائره، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمدٍ نبيِّه المبعوث بنُذُره وبشائره، المؤيَّد بالكتاب الكريم الذي لا فناء لعجائبه ولا انقضاء لسرائره، وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه الذين أوجب الله علىٰ كل مسلم تعظيمهم بقلبه ولسانه وخاطره، وسلم وشرف وكرم.

المسؤول من سيدنا الإمام - أنجح الله مقصده، وأوضح به الحقَّ وأيده، وأحيا به سُنن السَّنن المُعبَّدة، وأبطل بحُججه شُبه المُشبِّهة[1] والرافضة والملحدة، ووفقه فيما يقول ويكتب وأسعده - أن يتأمَّل ما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي الواعظ علىٰ منبر وعظه لمّا سُئل عن أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما أهما في الجنة؟

فقال: «إن كانا ماتا علىٰ ما كانا عليه»، أو: «إن ماتا علىٰ ما كانا عليه».

فلما عاتبه جماعة أهل السنة في هذا القول الخبيث، قال: «لمَ أوجبتم لهما الجنة قطعًا؟»

فقيل: لخبر رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - الصادق.

---

[1] في الأصل: المشبه.

قال: «ليس هو أعظم من خبر الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ لآدم: {إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرىٰ}[1] وقد جاع وعرىٰ، فعلمنا أن ذلك مقيَّد بشرط ملازمة الطَّاعة، وما كانا عليه إلىٰ أن يموتا علىٰ ذلك».

فيُجيب سيِّدنا – أبقاه الله تعالىٰ – عن هذا الإشكال بما أراه الله تعالىٰ، ويكتب خطَّه الكريم بما ينتفع به من قرأه من عباد الله، وهل يجوز مثل هذا القول أم لا؟ وهل بين القضيَّتين فرقٌ أم لا؟ يُبيِّن لنا سيدنا ذلك ويشرحه ويُحقِّق القول فيه مستوفىٰ ويوضِّحه، والله ينفعه وينفع به، آمين.

الجواب وبالله التوفيق: ليُعلم أولًا أنّ الكلام بهذا لا يتعلّق به مهمٌّ في الدِّين، ولا يفوت بالسُّكوت عنه مصلحةٌ من مصالح الإسلام والمسلمين، وإذا اتفق الكلام فيه فلا بدَّ من التعرُّض لما هو الحقُّ المُبين، والذي يُقطع به أنّ أبا بكر وعمر ومن نحا نحوهما من الصَّحابة المُنتخبين من جملة الشُّهداء والصِّدِّيقين في دار النَّعيم جمعنا الله معهم وسَلَكَ بنا سبيلهم، قال الله تعالىٰ: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك}[2] وكان هؤلاء منهم، ومن رضي الله عنه أسكنه جنَّته، وكم في القرآن مِن مَدْح المهاجرين والأنصار، ومِن ذِكْر ما أُعدَّ لهم ممّا يطول الكلام باستيعابه، وفي الصِّحاح عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أنه قال : **«إنّ مِن أَمَنِّ النَّاس عليَّ في صُحبته وماله أبو بكرٍ، ولو كنت مُتَّخِذًا من أُمَّتي**

[1] سورة طه: ١١٨.

[2] سورة الفتح: ١٨.

خليلًا لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ»[1]، وفي رواية: **«لو كنت مُتَّخِذًا خليلًا غيرَ ربِّي لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ، ولكنّه أخي وصاحبي»**[2].

عن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله أيُّ النَّاس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة قلت: من الرّجال قال: أبوها[3].

[١٥١/ و] وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– أنه قال: **«ما من أحدٍ له عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكرٍ فإن له عندنا يدًا يكافِيهِ الله به[4] يوم القيامة»**[5].

وعن ابن عمر عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أنه قال لأبي بكر: **«أنت صاحبي في الغار وصاحبي علىٰ الحوض»**[6].

وعن عائشة أن أبا بكر دخل علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم – فقال: **«أنت عتيق الله من النار»** فيومئذٍ سُمِّيَ عتيقًا[7].

عن أبي هريرة عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قال: **«أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي»**، فقال أبو بكر: يا رسول الله،

---

[1] أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٤٥٩) من حديث أبي سعيد بلفظه، وفيه زيادة.

[2] أخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس بنحوه.

[3] أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٤٢٦١) بلفظه، وفيه زيادة.

[4] كتب فوقها في الأصل: كذا.

[5] أخرجه الترمذي (٣٦٦١) بنحوه وفيه زيادة، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».

[6] أخرجه الترمذي (٣٦٧٠) بلفظه، وقال: «حديث حسن غريب».

[7] أخرجه الترمذي (٣٦٧٩) بلفظه، وقال: «حديث غريب».

وَدِدْتُ أني كنت معك حتىٰ أنظر إليه، فقال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – : **«أما إنك أول من يدخل الجنة من أمتي»**[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – :**«لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، فإن يَكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر»**[2].

وعن سعد بن أبي وقاص في خبرٍ طويلٍ عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – :**«يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لَقِيَكَ الشَّيطان سالكًا فَجًّا قطُّ إلا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ»**[3].

وعن جابر عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قال: **«دخلتُ الجنَّة ورأيت قصرًا بِفِنائِهِ جاريةٌ، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقال: لعمر. فأردتُ أن أدخله فأنظر إليه، فذكرتُ غَيْرَتَكَ»**، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغارُ؟[4].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قال: **«إنّ أهل الجنة لَيَتَراءَوْنَ أهل عِلِّيِّينَ كما ترون الكوكب الدُّرِّيَّ في أُفُقِ السّماء، وإنّ أبا بكرٍ وعمر منهم»**[5].

عن أنس قال: قال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – :**«أبو بكرٍ وعمر سيِّدا كُهُول أهل الجنّة من الأوّلين والآخِرين، إلا النَّبيِّين والمرسلين»**[1].

---

[1] أخرجه أبوداود (٤٦٥٢) بنحوه.

[2] أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، بلفظه.

[3] أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٤٧٤) بنحوه مطولًا.

[4] أخرجه البخاري (٥٢٢٦)، ومسلم (٢٤٧٢) بنحوه.

[5] أخرجه أحمد (١١٥٨٨) بنحوه.

وبالجملة فالأخبار في هذا أكثر من أن تُعدّ، وهي وإن كان أفرادها آحادًا فمعناها متواترٌ، كما في شجاعة عليٍّ وكرم حاتمٍ، فإن ما ينعدّ فيها آحادٌ، ولكن ما اشتملت عليه من معنىٰ الشّجاعة والكرم متواترٌ، وكذلك في مسألتنا؛ فإن هذه الفضائل والمآثر والمناقب التي من صفات أهل الجنة، وصريح الشهادة بالجنة وعلو المنزلة= لا تُبقي ريبًا في القطع بكرامتهم، وما أعدّه الله لهم، إلا لمن جانب الإنصاف وركب الاعتساف.

والمنصف إذا نظر في سيرهم وإعراضهم عن الدنيا وتمهيدهم لقواعد الدّين، واعتنائهم بمصالح المسلمين، ونزاهتهم وقيامهم بأمر الله تعالىٰ، وما ماتوا عليه، وما ظهر من كلام كل أحدٍ عند موته = لعلم أنهم من أهل السّعادة؛ إذ من يُسِّر له عمل أهل السّعادة فقد شهد له الشّرع أنه من أهل السعادة، وكيف وقد انضم إلىٰ هذه شهادة المصطفىٰ - صلىٰ الله عليه وسلم - وهو الشّاهد العدل، والحَكَمُ الفصْل؟!

فإن قيل: قد نُقل في حديث الحوض أنه يُذادُ عنه طائفةٌ، فيقول صلىٰ الله عليه وسلم: «**أصحابي أصحابي**»، فيقال: ما تدري ما أحدثوا بعدك[2].

قلنا: من هنا زلّت الرّافضة [١٥١/ ظ] والإماميّة - أبعدهم الله - وبسطوا ألسنتهم في الصحابة، واعتقدوا كفرهم وتوهّموا أن الإمامة مُخْتصَّةٌ بعليٍّ - رضي الله عنه - وأنه معصومٌ ومن خالفه كفر، وتوهّموا مخالفته فوقعوا في ظلمات من الجهالات أعمت بصائرهم عن نظر كمال الصّحابة وفضلهم.

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٦٦٤) بنحوه، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».

[2] أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٩٦٦) من حديث ابن عباس بنحوه، وفيه زيادة.

وهذا الذي يتردَّدُ ويقول: «إن ماتوا علىٰ ما كانوا عليه فهم في الجنة» أصابه من قَتَامِ ظلام الرّافضة، فعمشت عينيه[1] فلم تدرك كمال فضلهم، وإن أدركت أصل الكمال، وكلٌّ منهم حائدٌ عن سَنَن الحقِّ، والحقُّ ما بيَّنَّاه.

وأما الخبر فلا يَعْتَرِضُ علىٰ ما ذكرناه؛ فإنه قد ارتدّ جماعةٌ بعد رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – وقد قتل أبو بكرٍ من ارتدّ، وما يُنْكَرُ أن الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء، وإنما كلامنا في هؤلاء السّادة الذين شهد لهم الرسول – صلىٰ الله عليه وسلم – بما شهد: كيف يُشكُّ في سعادتهم؟

فإن قيل: فقد نُقل عن عمر أنه كان يَجْأَرُ ويبكي ويقول: وَدِدْتُ لو خَلَصْتُ لا عليّ ولا لي[2]. وكان يقول لحذيفة: أنت قد أعلمك رسول الله –صلىٰ الله عليه وسلم– المنافقين، فهل أنا منهم؟[3]

وإذا كان الأمر كما ذكرتم، فما هذا الشَّكُّ وهذا التَّردُّد؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه كان يخاف من شدّة الحساب، ومن نوقش الحساب عُذّب، فكان بكاؤه لذلك، لا أنه شكّ في كونه من أهل الجنة أم لا.

---

[1] كذا في الأصل بالنصب، والصواب بالرفع علىٰ الفاعلية، وهو إما بالإفراد: «عينه»، أو بالتثنية: «عيناه». هذا إن كان المقصود: «عَمِشَ» علىٰ وزن «فعِل»، أي: «فعَمِشَتْ عينُه [أو: عيناه]» بمعنىٰ ضعفتْ.
وأما إن كان المقصود: «عمّش» علىٰ وزن: «فعّل»، أي: «فعَمَّشَتْ عينيه»، فالكلام مستقيم حينها من جهة الإعراب، لكنه مشكل من جهة المعنىٰ، وذلك أنني لم أجد «التّعميش» مستعملًا بمعنىٰ: العمش، وهو ضعف البصر. والله أعلم.

[2] أخرجه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٧٠) من حديث ابن عمر بمعناه وفيه زيادة.

[3] أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٥٤٥) بمعناه.

وأما ذكره لحذيفة فيحتمل أن يكون خشي علىٰ نفسه أن يكون فيه خلقًا من أخلاق المنافقين، أو يحتمل أن يكون أراد بذلك ليُطْلِعَ الغير علىٰ أن صاحب سرّ رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قد شهد له أنه ليس من جملة المنافقين، فيُعلم كذب الرّافضة والإمامية الذين حكموا بكفره.

الوجه الثاني: أن الخوف والرّجاء والمحبَّة والهيبة مقاماتٌ وخِلَعٌ يكسو الله بها أولياءه ليقفوا بين يديه بها، فمن أراد الله تعالىٰ إلباسه لباس الخوف ذكّره بأسباب الخوف، وأنساه ما سوىٰ ذلك، فيظهر عليه الخوف، ويقف متضرعًا لله خائفًا من أليم عقابه، فيثيبه الله ثواب الخائفين، ومن كساه الله تعالىٰ خِلْعَةَ الرّجاء ذكّره الله تعالىٰ بأسباب الرّجاء وأنساه أسباب الخوف، فيقف منبسطًا مسرورًا أحسن الظن بربه، وكذلك مقام الهيبة ومقام المحبة، وهذا أمرٌ يعرفه رجال الله تعالىٰ، فما يدلّ ذلك علىٰ شكّه – رضي الله عنه – في صدق ما أخبره به رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم –.

وأما قوله تعالىٰ: {إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرىٰ}[1].

الجواب منه من ثلاثة أوجه:

أحدها: نمنع التقييد ونبقي اللفظ علىٰ ظاهره، وبيانه أن الله تعالىٰ أنزله دار كرامته وأكرمه بمحل ضيافته، كما يكرم صاحب المنزل الضّيف، وشَرَط له أنه ما دام في ضيافته لا يعرىٰ ولا يجوع، فلمّا أكل الشجرة [١٥٢/ و] ترك الضيافة واشتغل بطلب الخُلْد وأكل من غير مائدة صاحب المنزل، فهو خارج عن محل

[1] سورة طه: ١١٨.

الضيافة بحقيقته وإن لم يخرج بقالبه، والعمل للحقيقة لا للقالب، فما عرىٰ إذًا إلا بعد الخروج.

الوجه الثاني: أنَّا لا ننكر أن اللفظ المطلق قد يُقيَّد والعامّ قد يُخصَّص، ولكن من أين يلزم أنه إذا قُيِّد أو خُصِّص في موضع يُقيَّد أو يُخصَّص في موضع آخر؟

وقد بيّنا أن شهادة الرسول - عليه السلام - قاطعةٌ في الشّهادة، فلا يُتصوَّر مع القطع تخصيصٌ ولا تقييدٌ.

الوجه الثالث: أن هذا ورد في معرض بيان الاستغناء عن الشجرة، ومعنىٰ الكلام: أنَّا قد كفيناك المؤنة التي يُحتاج إلىٰ السبب من أجلها، فلا تشتغل بسببٍ من تناول الشجرة أو غيره، كما قال تعالىٰ: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق}[1]، فكان مساق الكلام: بيان أنه مستغني عن تعاطي الشجرة، لا بيان حقيقة الإخبار، والكلام مبيّن[2] في مقصوده، ومجمل في غير مقصوده، وبالجملة فهذا كلّه خارجٌ عن مقصد المسألة، والمقصود أن الدليل القاطع قد دل علىٰ سعادتهم، والكلام بعد ذلك كلامٌ في بُنَيّات الطّريق، والله أعلم.

نُقل من خط المُجيب، والحمد لله وحده.

---

[1] سورة الذاريات: ٥٦، ٥٧.

[2] في الأصل: يبين. وربما كانت ميمًا غير بينة، فلعل المثبت هو الصواب، والله أعلم.